

أضواء البيان

. @ 62 @

وقد جاء في الحديث المشهور (افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الناجية منها واحدة ، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه) . قوله تعالى : { كَذِبُ الرِّجَالِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى لَدَيْهِ } . بين جل وعلا أنه كبر على المشركين أي شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه صلى الله عليه وسلم من عبادة الله تعالى وحده ، وطاعته بامثال أمره واجتناب نهيه ، ولعظم ذلك ومشقته عليهم ، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجهلون في عدم سماعه لشدة كراهتهم له ، بل يكادون يبطلشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها . .

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله ، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم . .

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم ونوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَذِبُ الرِّجَالِ عَلَى كُفْرِهِمْ مَّكَامَرِيٍّ وَتَذْكَرِيٍّ بِلَايَاتِ اللَّهِ فَاعْلَمُوا } . وقوله تعالى عن نوح { وَإِنِّي كُلَّامٌ لِّكُمْ مَا دَعَوْتُكُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ } جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَسُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ } . .

فقوله تعالى { جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ } فإذ أنهم لم يدعواهم إليه نوح ، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به . .

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في آيات من كتابه كقوله تعالى { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِّينَ كَفَرُواْ } الْمُؤْمِنُونَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتُنَا { فَقوله تعالى : { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِّينَ كَفَرُواْ } الآية . يدل دلالة واضحة ، على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات . .

وكقوله تعالى : { وَقَالَ السَّادِّينَ كَفَرُواْ } لَا تَسْمَعُواْ لَهُ إِذَا

الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ { . وقوله تعالى في الزخرف . { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ
بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ وَلَآكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَآئِحِقَّ